« فيصل بن عبد العزيز آل سعود »

١٣٢٤ - ١٣٩٥ هـ

بقلم : فضيلة الشيخ محمد شريف الزيبق
المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفإن متّ فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالخير والشر فتنة وإلينا ترجعون) .

رُوِّع المسلمون بنبإ وفاة فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بيد معتد أثيم ، وقد كان لهذا الحادث الجلل وقع أليم هزّ قلوب المسلمين وفجعهم بأعظم رجال هذا العصر الذي كان أمل الأمة الإسلامية وقائدها وحكيمها الذي وهبه الله لها في عصر ندر فيه الرجال المخلصون الأكفياء للقيادة بإيمان وحكمة وبصيرة ، فعمل رحمه الله عملاً دائباً متصلاً لعزة الإسلام وجمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم في كافة المجالات ، وبذل كل ما يملك من المواهب والإمكانيات في صراع أعداء الإسلام .

لقد عاش فيصل رحمه الله معظم هذا القرن الرابع عشر ، وعاصر الأحداث الخطيرة والمؤامرات التي تعرض لها الإسلام والمسلمون من إلغاء الخلافة وتمزيق الأقطار الإسلامية ، واغتصاب اليهود فلسطين .. إلى غزو المسلمين اجتماعياً وفكرياً بالعادات والعقائد والمبادئ الهدامة ، فعمل رحمه الله على اتمام ما بدأ به والده العظيم عبد العزيز رحمه الله من توطيد نظام المملكة العربية السعودية والنهوض بها علمياً وعمرانياً مع الحفاظ على ما امتازت به هذه الدولة الاسلامية على غيرها من إقامة الحكم الإسلامي وتطبيق الحدود الشرعية ، والتزام العمل

Made With Pdf Office

بالكتاب والسنة ، فكانت هذه المملكة التي ترفرف على علمها الأخضر كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) نموذجاً نادراً بل عديم النظير في أمنها واستقرارها وهيبة الحكم فيها ونشر العدل بين رعيتها ، مع الحرية والكرامة والرخـــاء .

إن التاريخ سيسجل في أبرز صفحاته أعمال الفيصل وجهوده للنهوض بشعبه وخدمة أمته الإسلامية ، منذ بواكير شبابه حتى الساعة التي صعدت فيه روحه الطاهرة إلى بارئها ، في تواضع وإخلاص وزهد في الألقاب والمظاهر ، وقد كان أحب الألقاب إليه : خادم الحرمين الشريفين وخادم المسلمين .

لقد تم في عهده مشروع توسعة المسجد الحرام حتى بلغت مساحته عشرة أضعاف مساحته قبل التوسعة ، وقد أمر رحمه الله بالتوسعة الثانية للمسجد النبوي الشريف التي شرع بها منذ العام الماضي وستكون كبيرة تستوعب الوافدين من أقطار العالم الإسلامي للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما تطورت خطوط المواصلات الجوية والبرية والبحرية وسهلت سبل حجاج بيت الله .

وقد لقيت المعاهد العلمية والمدارس والجامعات من رعاية الفيصل وتوجيهه أوفى نصيب كجامعة الرياض وجامعة الملك عبد العزيز في مكة المكرمة وجدة والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض وجامعة البترول والمعادن في الظهران .

وإذا كانت هذه النهضة العلمية يعود نفعها لشعبه داخل المملكة في المقام لأول فإن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أنشئت لخير الأمة الإسلامية فأكثر من أربعة أخماس طلابها من الأقطار الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي أو من المسلمين في بعض دول أوروبا وأمريكا إذ بلغ عدد الأقطار التي ينتمي إليهـــا طلاب الجامعة ٨٦ قطراً . ويدرس جميع طلاب الجامعة على منح سخية تجريها عليهم المملكة .

وفي مكة المكرمة تلقى رابطة العالم الإسلامي من الفيصل رحمه الله كل

Made With Pdf Office

عون وتوجيه وتأييد ، وهي تضم في هيئتها التأسيسية عدداً من أعلام الأقطار الإسلامية ، وتقوم أمانتها العامة بجهود مشكورة في الدعوة الإسلامية والاهتمام بالقضايا والمشاكل التي تهم المسلمين ولها نشاط مشكور في عقد الندوات والمؤتمرات للجماعات الإسلامية والشباب ، وإرسال البعوث والدعاة إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي .

وجهود الفيصل رحمه الله لخدمة الأمة الإسلامية كثيرة متعددة النواحي ، فقد دعا إلى التضامن الإسلامي في الوقت الذي اضطربت فيه الأمور في كثير من الدول الإسلامية والعربية الشقيقة ، وكان المسلمون أحوج ما يحتاجون إلى اجتماع الكلمة والتعاون والتضامن ، فقام رحمه الله بهذه الدعوة التي كان يرى أنها فرض على كل مسلم ، وخطب في باكستان عام ١٣٨٦ هـ فقال : (إننا نسعى إلى السلام ونسعى إلى التآخي ونسعى إلى التفاهم ولكن ليس معنى هذا أن نضحي بمبادئنا وعقيدتنا وإسلامنا في سبيل هذا التآخي وهذا التفاهم) . فدعوته رحمه الله إلى الأخوة والتضامن دعوة إسلامية للعودة إلى الإسلام والعمل بمبادئه .

وقد ذكر الفيصل رحمه الله الغافلين عن قيمة التراث الإسلامي والعاملين على إحلال القوانين الغربية الوضعية محل الشريعة الإسلامية بقوله من خطاب له بتونس : (إذا كنا نحن المسلمين قد قصرنا بعض الشيء ولم نتفهم حقيقة شريعتنا وديننا فعلينا أن نفهم وندرس ونتعمق في شريعتنا نستنبط منها ما يلائم عصرنا وما يبرز محاسن الإسلام شريعة وعقيدة) .

وسيسجل التاريخ نجاح دعوة الفيصل إلى التضامن الإسلامي رغم كل العوائق والمؤامرات ، فقد انعقد المؤتمر الإسلامي وضم رؤساء بضع وعشرين دولة اسلامية في عدة دورات ، وأنشئت الأمانة الإسلامية العامة بجدة ، وتم تأسيس البنك الإسلامي ، واستطاع الفيصل رحمه الله توحيد الجبهة العربية ودعمها بالمال والسلاح والرجال ، وسيسجل التاريخ دور الفيصل رحمه الله في حرب رمضان ١٣٩٣ هـ وانتصار دول المواجهة على اليهود ، وعبور المقاتلين المسلمين من مصر قناة السويس وتحصينات العدو المعروفة بخط بارليف ، وقد

Made With Pdf Office

محا هذا الانتصار عار الهزيمة النكراء التي حلت بجيوش قادها زعماء غفلوا عن الله ورفعوا شعارات تخالف الإسلام فأصيبت الأمة جمعاء بعارهم حتى ظن أنه لن يدال للمسلمين من أعدائهم إلا بعد دهر طويل ، فقد احتلت جيوش اليهود الصهيونيين شبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان وجميع ما تبقى من فلسطين ـ الضفة الغربية لنهر الأردن ـ فقام الفيصل بمواساة المهزومين وأمدهم بكل ما يحتاجونه من مال وسلاح .. لقد فتح لهم خزائن مملكته كما فتح لهم قلبه ، فاستطاع جنود مصر الأبطال المجاهدون اقتحام حصون اليهود المنيعة وهم يهتفون الله أكبر .. الله أكبر .. وشاركت فصائل من جيش الفيصل في حرب اليهود في جبهة الجولان إلى جانب أشقائهم السوريين والعراقيين والمغاربة ..

وإذا كانت الحرب ما تزال قائمة بين المسلمين واليهود ومن يمدهم بالمال والسلاح فإن الفيصل رحمه الله ما فتئ يدعو للجهاد لتحرير فلسطين واسترجاع بيت المقدس ثالث الحرمين وأولى القبلتين ، وقد وجه رحمه الله إلى حجاج عام ١٣٨٧ هـ قوله : (إن هناك مقدسات لكم تداس وتهان وترغم يومياً ، هناك أرض المعراج ، هناك أولى القبلتين ، هناك ثالث الحرمين الشريفين ، فهو لنا جميعاً ، إنه ليس للعرب دونكم أيها الإخوان بل للمسلمين جميعاً ، وإنه يتعرض اليوم لأعظم الكيد والحرمان ، وإني لأهيب بإخواني المسلمين أن يهبوا لنصرة دينهم ، للدفاع عن مقدساتهم لأن الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا ذلك) .

وكان رحمه الله يحرص على إبراز الناحية الإسلامية في قضية فلسطين ، تلك القضية التي كانت تستأثر بأعظم اهتمامه ، فكان يعمل على شد أزر أبناء فلسطين ومشاركتهم في الجهاد ، ويأبى أن تكون الحلول السلمية سبيلاً لإضاعة حقوقهم أو التفريط بالوطن الإسلامي ، وقد خطب رحمه الله عام ١٣٩٠ هـ فقال : (هناك من يدعـو لإيجاد حـلول أو أن يكون هناك سـلام ، أو أن يكون هناك تفاهم ومقدساتنا مهانة ، وبلادنا محتلة ، وشعبنا مضطهد ومشرد ، فإذا لم تكن هذه الحلول تؤمن لنا استعادة مقدساتنا واستعادة أراضينا والحفاظ على حقوق شعبنا المشرد فكيف يمكن أن نقبل هذه الحلول أو نرضخ لها ،

Made With Pdf Office

فهذا معناه أن نستسلم لأعدائنا وأن نقبل الهزيمة ، وأن نرضى بتحطيم كرامتنا وعزتنا ، إنني أربأ بإخواني المسلمين في كل قطر وإخواني العرب أن يقبلوا بحلول لا تؤمن لهم حقهم المغتصب ، والحفاظ على كرامتهم المهانة والحفاظ على حقوق إخوانهم المشردين في كل قطر ، الذين لم ينظر إليهم أحد أو يعترف بحقهم غيركم أيها الإخوان) .

وكان الفيصل رحمه الله يحذر المسلمين في كل مناسبة من كيد اليهود وخطط الصهيونية العالمية التي تبثّ المبادئ الهدامة في كل مكان ، ومن أقواله في هذا الشأن : (نجحت الصهيونية حينما أطلقت على العالم هذه المبادئ الهدامة ، وهذه المبادئ الملحدة الشيوعية وما يتفرع منها من اتجاهات ومذاهب . . . وتمكنت لسوء الحظ بنشر هذه المبادئ من أن تصل إلى حدّ ما ، إلى كثير من أهدافها وغاياتها ، وهذه الأهداف تستهدف تحطيم كل المعتقدات وتحطيم كل القوى البشرية وإشاعة الفوضى والتنابذ والتحلل الخلقي لجميع شعوب العالم الذي لم تتمكن أن تصل إليه بقوتها ، فسعت سعيها الحثيث إلى أن تضلل العالم وأن تسوقه إلى ما فيه شره والقضاء عليه ، ويكفي أن ننظر إلى شيء واحد : إن قادة الشيوعية الذين حملوا لواءها وبثوا في العالم معتقداتها كلهم من الصهيونيين الذين خططوا وسعوا إلى تحطيم البشرية وتهديمها ليصلوا إلى مبتغاهم وهو السيطرة على العالم) .

وسيسجل التاريخ للفيصل رحمه الله أنه نذر أن يصلي ركعتين في المسجد الأقصى بعد تحريره وكانت هذه أعظم أمانيه ، وفي اليوم الذي لقي فيه وجه ربه راضياً مرضياً قابل رئيس منظمة تحرير فلسطين وزوده بالتوجيه والتأييد ، وكانت آخر وصاياه لخلفائه : تحرير فلسطين .

ومآثر الفيصل وحسناته في أرجاء العالم كثيرة لا يمكن استقصاؤها ، وأبرز مآثره رحمه الله إقامته دعائم الدولة على الشورى ، وإتاحة الفرصة لافراد الشعب للتعبير عن آرائهم بحرية وتوجيهه أولى الرأي إلى أن تكون النهضة على أساس ديننا القويم ، وتحذيره من الانسياق وراء الثقافة الغربية فقد كان رحمه الله أكثر الناس وعياً أن ما ينقص المسلمين اليوم هو العلوم والصناعات والفنون

Made With Pdf Office

المخترعات الحديثة (التي يسمونها التكنولوجيا) تلك العلوم التي تمكننا من إعداد القوة لمجابهة الأعداء ، أما الثقافة الأوروبية من آداب وقصص وفلسفات وقوانين فهي السموم التي تقضي على كيان المسلمين وشخصيتهم ، يقول رحمه الله : (يسرنا أن نتلقى من أي فرد من أفراد المجتمع وهذه الأمة أية ملاحظة أو أية مراجعة في أي شأن من الشؤون يرى أن فيه ما يغاير المصلحة أو الهدف الذي نرمي إليه جميعاً وسيكون لها أكبر الترحيب في نفوسنا وسنهتم بها أكبر الإهتمام) .

ويعاهد رحمه الله الشعب : (لكم عليّ أن أراقب الله سبحانه وتعالى في كل ما أعمل ، ولكم عليّ أن أخلص في خدمتي لكم ، ولكم عليّ أن أعدل بين صغيركم وكبيركم ، وإن أطرفكم (أبعدكم) عندي مساوٍ لأقربكم إليّ في الحق ، وإني بحول الله وقوته أسأل المولى سبحانه وتعالى أن أعدل في معاملتي بين أهلي وأسرتي وإخوتي) .

وقال رحمه الله : (إننا إذا أردنا لأمتنا وشعوبنا الخير فإننا لسنا بحاجة لأن نستورد لأي بلد أو وطن أو أمة أية آراء وأية عقائد أو أية قوانين من الخارج ، بل بالعكس فإن تلك الأمم نفسها تستفيد من شريعتنا ومن قواعدنا .. وقد سبق أن استفاد نابليون من الشريعة الإسلامية حينما حضر إلى مصر واختلط بعلماء المسلمين ، فاتخذ منها قواعد بنى عليها نظامه ودستوره الذي لا يزال كثير من الأمم تأخذ به وتستنبط منه ، دساتيرها وقوانينها ، والفضل في ذلك هو للشريعة الإسلامية وليس لنابليون) .

وقد أنعم الله على جزيرة العرب بمصادر غنية من هـذا المعدن السائل زيت النفط ، فقام الفيصل رحمه الله بشكر الله وأدى ما عليه من الحقوق لإخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وعمم الرخاء في أرجاء مملكته ، وشجع التجارة والصناعة ، ووضع الأنظمة التي تكفل حقوق العامل وجنب

Made With Pdf Office

البلاد بتطبيقه العدالة الاجتماعية الاسلامية مساوئ النظم الرأسمالية وأحقاد الاشتراكية ، ومن توجيهاته في هذا المجال : (إننا اخترنا لنظامنا الاقتصادي النظام الحر ، وفي اعتقادنا أن هذه علاوة على أنه يتفق تمام الاتفاق مع شريعتنا الإسلامية يقوم بإفساح المجال لكل الكفاءات من الشعب ، حتى يبذل كل شخص وكل جمع جهوده في سبيل الصالح العام . إننا لا نقيد حرية الإنسان في أن يستهدف في عمله وفي اتجاهه ما يرى أن فيه صالحاً عاماً ، ولكن هذا لا يعني أننا نترك الحبل على الغارب إذا رأينا أن هناك اتجاهاً لشخص أو جماعة بما يضر المجتمع ، أو بما يضر الغير ، فإننا نتدخل حسب الشريعة الإسلامية لإصلاح الفاسد ، ولتقويم المعوج ، ولإحقاق العدالة الاجتماعية بين الجميع) .

وأخيراً فإن التاريخ سيسجل أن الله قد أكرم عبده فيصل بن عبد العزيز رحمه الله بمحبة الناس ، وشهادتهم له بالتقوى والعمل الصالح ، وأن فيصل قد أوضح السبيل ومهد الطريق أمام خلفائه وفقهم الله وسدد خطاهم وترك لهم منهاجاً واضحاً للعمل في جميع الميادين الوطنية والعربية والإسلامية والدولية .

تغمده الله برحمته ، وجزاه أحسن الجزاء وإنا لله وإنا إليه راجعون .

Made With Pdf Office